مشروع تعليم الصلاة
Prayer Teaching Project
مملكة البحرين/المنامة/تأسس سنة ١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ

الخطّة الدراسيّة للفصل الأوّل للعام المأتمي ٢٠١٥-٢٠١٦ م

الفرقة: السادسة

رمز المقرر: خلق ٦٠١

اسم المقرّر: آمال العارفين (١)

توصيف المقرّر

يتناول هذا المقرّر شرح معاني دعاء كميل المروي عن أمير المؤمنين (ع)، وشرح مضامينه ليساهم في تربية الذات وتغذية الروح أخلاقيًا، كما أن له تتمة في مقرر لاحق.

الخطة الأسبوعيّة

الأسبوع	الموضوع	الصفحة	ملاحظات
الأوّل	أول الدعاء المعرفة	٥	
الثّاني	آثار الذنوب	١٥	
الثّالث	نعم مجهولة	٢٣	
الرّابع	دوافع المعاصي	٣١	
الخامس	حالة الداعي	٤١	
السّادس	صفات الناجين من عذاب النار	٤٧	

فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأول	أول الدعاء المعرفة	٥
الثاني	آثار الذنوب	١٥
الثالث	نعم مجهولة	٢٣
الرابع	دوافع المعاصي	٣١
الخامس	حالة الداعي	٤١
السادس	صفات الناجين من عذاب النار	٤٧

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الأوّل

أول الدعاء المعرفة

اَللّـهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْء، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْء، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَيء، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَيء، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِها كُلَّ شَيء، وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لا يَقُومُ لَها شَيءٌ، وَبِعَظَمَتِكَ الَّتي مَلأَتْ كُلَّ شَيء، وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عَلا كُلَّ شَيء، وَبِوَجْهِكَ الْباقي بَعْدَ فَناءِ كُلِّ شَيء، وَبِأَسْمائِكَ الَّتي مَلأَتْ اَرْكانَ كُلِّ شَيء، وَبِعِلْمِكَ الَّذي اَحاطَ بِكُلِّ شَيء، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي اَضاءَ لَهُ كُلُّ شيء.

أولاً: المفاهيم المحوريّة:

١. معرفة المدعو شرط في الاستجابة.

٢. من صفات المدعوّ:

- الرحمة الواسعة.
- القوّة القاهرة.
- الجبروت.
- العلم المحيط.

ثانيًا: شرح المفردات:

اللهُمّ: أصلها أَلِهَ: "الهمزة واللام والهاء أصل واحد؛ وهو: التعبّد. فالإله الله تعالى، وسُمِّيَ بذلك؛ لأنّه معبود"[١]. "قال أبو إسحق: وقال الخليل وسيبويه وجميع النحويين الموثوق بعلمهم: اللهمّ؛ بمعنى: يا ألله، وإنّ الميم المشدّدة عوض مِن يا..."[٢].

١- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، لاط، إيران، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.ق، ج١، مادّة"أَلِهَ"، ص،١٢٧

٢- الإفريقي، ابن منظور: لسان العرب، لاط، قم المقدّسة، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.ق، ج١٣، مادّة "أَلِهَ"، ص٤٧٠.

أسألك: أصلها سَأَلَ: "السين والهمزة واللام: كلمة واحدة. يقال: سأل يسأل سؤالاً ومسألة"[٣]. و"السُّؤَالُ: استدعاء معرفة، أو ما يؤدّي إلى المعرفة... والسُّؤَالُ للمعرفة: يكون تارة للاستعلام، وتارة للتّبكيت، مثال الأوّل قوله تعالى: "وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ"(التكوير: ٨)، مثال الثاني، قوله تعالى: "وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ" (الإسراء: ٨٥)"[٤].

رحمتك: أصلها رَحِمَ: "الراء والحاء والميم: أصل واحد يدلّ على: الرقّة، والعطف، والرأفة"[٥]. "والرَّحْمَةُ: رقّة تقتضي الإحسان إلى الْمَرْحُومِ، وقد تستعمل تارة في الرّقّة المجرّدة، وتارة في الإحسان المجرّد عن الرّقّة، نحو: رَحِمَ الله فلاناً. وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلاَّ الإحسان المجرّد دون الرّقّة... ولا يطلق الرَّحْمَنُ إلاَّ على الله تعالى من حيث إنّ معناه لا يصحّ إلاَّ له؛ إذ هو الذي وسع كلّ شيء رَحْمَةً، والرَّحِيمُ يستعمل في غيره؛ وهو الذي كثرت رحمته، قال تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (البقرة: ١٨٢)، وقال في صفة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:"لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾" (التوبة: ١٢٨).

قال تعالى:" وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ" (الأعراف: ١٥٦)؛ تنبيهاً أنّها في الدّنيا عامّة للمؤمنين والكافرين، وفي الآخرة مختصّة بالمؤمنين"[٦].

قهرت: أصلها قَهَرَ: "القاف والهاء والراء: كلمة صحيحة تدلّ على غلبة وعلو. يقال: قهره يقهره قهراً. والقاهر الغالب"[٧]. و"القَهْرُ: الغلبة والتّذليل معاً، ويستعمل في كلّ واحد منهما. قال تعالى: " وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾" (الأنعام: ١٨)، وقال: " وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ" (الرعد: ١٦)،" وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ" (الأعراف: ١٢٧)"[٨].

٣-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة"سَأَلَ"، ص،١٢٤

٤-الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط٢، قم المقدّسة، نشر طليعة النور؛ مطبعة سليمانزاده، ١٤٢٧هـ.ق، ص٤٣٧-،٣٣٨

٥-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"رَحِمَ"، ص،٤٩٨

٦-الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، ص٣٤٦-،٣٤٧

٧-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قَهَرَ"، ص،٣٥

٨-الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"قَهَرَ"، ص٦٨٧.

خضع: أصلها خَضَعَ: "الخاء والضاد والعين: أصلان، أحدهما: تطامن في الشيء. والآخر: جنس من الصوت. فالأوّل: الخضوع. قال الخليل: خضع خضوعاً؛ وهو الذلّ والاستخذاء. واختضع فلان؛ أي تذلّل وتقاصر"[٩].

ذلّ: أصلها ذلّ: "الذال واللام في التضعيف والمطابقة: أصل واحد يدلّ على الخضوع والاستكانة واللين. فالذل: ضدّ العزّ"[١٠]. و"الذُّلُّ: ما كان عن قهر... وقوله تعالى: "وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ" (الإسراء: ٢٤)؛ أي: كن كالمقهور لهما... والذُّلُّ متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه؛ فمحمود، نحو قوله تعالى: "أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ" (المائدة: ٥٤)"[١١].

جبروتك: أصلها جَبَرَ: "الجيم والباء والراء: أصل واحد؛ وهو: جنس من العظمة والعلو والاستقامة... وذو الجبروت: الله جلّ ثناؤه"[١٢]. "والجبّار في صفة الإنسان، يقال: لمن يجبر نقيصته بادّعاء منزلة من التعالي لا يستحقها"[١٣].

عزّتك: أصلها عزّ: "العين والزاء: أصل صحيح واحد يدلّ على شدّة وقوّة وما ضاهاهما من غلبة وقهر. قال الخليل: العزة لله جلّ ثناؤه؛ وهو من العزيز"[١٤]. و"العِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرضٌ عَزَازٌ؛ أي: صُلْبةٌ. قال تعالى: "أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾" (النساء: ١٣٩)... والعَزيزُ: الذي يقهُر ولا يُقهَر. قال تعالى: "إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ" (العنكبوت: ٢٦)"[١٥].

سلطانك: أصلها سَلَطَ: "السين واللام والطاء: أصل واحد؛ وهو: القوّة والقهر، من ذلك: السلاطة؛ من التسلّط؛ وهو القهر. ولذلك سمّي السلطان سلطاناً. والسلطان الحجّة"[١٦]."[١٧].

أحاط: أصلها حوط: "الحاء والواو والطاء: كلمة واحدة؛ وهي الشيء يطيف بالشيء"[١٨]

٩- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، مادّة"خَضَعَ"، ص،١٨٩

١٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٢، مادّة"ذَلّ"، ص،٣٤٥

١١- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، ص،٣٣٠

١٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، مادّة"جَبَرَ"، ص،٥٠١

١٣- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"جَبَرَ"، ص،١٨٥

١٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"عَزَّ"، ص،٣٨

١٥- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"عَزَّ"، ص،٥٦٣

١٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة"سَلَطَ"، ص،٩٥

١٧- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"سَلَطَ"، ص،٤٢٠

١٨- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"حَوَطَ"، ص ١٢٠.

والإحاطة بالشيء علماً؛ هي: أن تعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيّته، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه؛ وذلك ليس إلاَّ للَّه تعالى، وقال عزّ وجلّ: "بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ"(يونس: ٣٩)، فنفى ذلك عنهم... وقوله عزّ وجلّ: "وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ"(يونس: ٢٢)، فذلك إحاطة بالقدرة"[١٩].

ثالثًا: دلالة المقطع:

أ) معرفة المدعوّ شرط في الاستجابة:

إنّ أوّل شرط للداعي إذا أراد أن يُستجاب دعائه يكمن في معرفته بمن يدعوه؛ ولذا، ابتدأت فقرات دعاء كميل ببيان الصفات الإلهيّة التي تشرّع للداعي باب المعرفة بعظمة من يدعوه، وتجذبه نحو الطلب من الله تعالى؛ لما أُلهِم قلبه من حتمية الإجابة؛ بفعل تعرّضه لنفحات هذه الصفات الكمالية الكاشفة عن عظمة المتّصف بها وقدرته وقوّته. وهذا هو حال مَنْ يطلب حاجة من أحد من الناس؛ فإنّه لا يلجأ إلى الطلب إلا ممَّن يعرفه، ويدرك أنّه القادر على استجابة طلبه، وقضاء حاجته. عن الإمام الصادق (ع): **"قال رسول الله (ص): قال الله عزّ وجلّ: من سألني؛ وهو يعلم أنّي أضرّ وأنفع؛ استجبت له"**[٢٠]. وعن الإمام موسى الكاظم (ع) ، قال: **"قال قوم للصادق عليه السلام: ندعو فلا يُستجاب لنا، قال: لأنّكم تدعون من لا تعرفونه"**[٢١]. ومعرفة الله تكمن في معرفة صفاته؛ وهي حقائق كماليّة تتجلّى في ساحات الكون، ويدركها الإنسان بحسب قابليّته واستعداده ومرتبته الوجوديّة؛ وهي المذكورة في فقرات هذا الدعاء: الرحمة الواسعة، والقوّة، والقدرة الشاملة، والجبروت، والعزّة، والعظمة، والسلطان، والذات الباقية التي لا تُصاب بالفناء.

ب) من صفات المدعوّ:

١) الرحمة الواسعة:

إنّ الدعاء باب من أبواب رحمة الله. والإنسان يتوسَّل بصفة الرحمة الإلهيّة؛ لتشمله؛ فتكتب له النجاة. ولذا، كان السؤال الأوّل توسّلاً بالرحمة الإلهيّة. والرحمة الإلهيّة هي كلّ فيض يفيضه الله تعالى لسدّ حاجات الموجودات، واستكمال نواقصها، حيث إنّها بحسب ذاتها فقيرة ومحتاجة إلى الكامل المطلق.

١٩- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادة"حَيَطَ"، ص٢٦٥-٢٦٦.

٢٠- ابن بابويه، محمد بن علي(الصدوق): ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، تقديم محمد مهدي الخرسان، ط٢، قم المقدّسة، منشورات الشريف الرضي؛ مطبعة أمير، ١٣٦٨هـ.ش، ص،١٥٣

٢١- ابن بابويه، محمد بن علي: التوحيد، تصحيح وتعليق هاشم الحسيني الطهراني، لاط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، لات، باب٤١، ح٧، ص٢٨٨-٢٨٩.

فالرحمة تشمل حياة الإنسان في عالم الدنيا؛ من الولادة إلى آخر لحظات عمره، وكذلك في عالم الآخرة، حيث يُكتَب له النجاة والفوز بالجنّة:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام – لمّا قيل له: إنّ الحسن البصري قال: ليس العجب ممَّن هلك كيف هلك، وإنّما العجب ممَّن نجى كيف نجى! –: "**أنا أقول: ليس العجب ممَّن نجى كيف نجى، وأمّا العجب ممَّن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله**"[٢٢].

وبما أنّ لكلّ شيء في هذا الكون سبب مُوصِل إليه، فإنّ الوصول إلى رحمة الله يتوقَّف على عدد من الأمور تُعدّ بمثابة مُوجبات لشمول الرحمة الإلهيّة، وهي:

- عدم الإفساد في الأرض.
- الدعاء عن خوف أو عن طمع.
- الإيمان بالله والاعتصام به.
- الصبر.

قال تعالى: "وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ"[٢٣]. وقال تعالى: "فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾"[٢٤]. الصبر: قال تعالى: "وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾"[٢٥].

٢) القوّة القاهرة:

إنّ سعة القدرة الإلهيّة جعلت كلّ شيء مقهوراً لها؛ أي لا يملك أمامها حول أو قوّة. ويترتّب على هذا القهر: الخضوع والذلّ.

٢٢- الموسوي، علي بن الطاهر(الشريف المرتضى): الأمالي، تصحيح وتعليق محمد بدر الدين الحلبي، ط١، قم المقدّسة، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٢٥هـ.ق/ ١٩٠٧م، ج١، المجلس١١، ص،١١٣

٢٣- الأعراف: ،٥٦

٢٤- النساء: ،١٧٥

٢٥- البقرة: ١٥٥-١٥٦-١٥٧.

والخضوع؛ هو: التسليم، وعدم مقاومة سعة القدرة الإلهيّة. ويكمن ذلك من خلال الإيمان بأنّ القدرة الإلهيّة شاملة لكلّ شيء، ولا يمكن الخروج عنها. وهذا التسليم قد يكون عملاً، وقد يكون مع اليقين والطمأنينة بهذه السعة؛ أي عن اعتقاد وإيمان صحيحين.

وهذا يعني أنّ هذا الخضوع قد لا يكون عن اختيار، وقد يكون عن اختيار؛ فكلّ شيء خاضع له. وفي اختيار طاعة الله عزّ وجلّ خضوع اختياري؛ لأنّ الله لم يُجبِر أحداً على طاعته. وفي الرضا والتسليم بقضاء الله خضوع اختياري؛ لأنّه لا اعتراض، بل تسليم.

وأمّا الذلّ فلا يكون عن قهر؛ لأنّ الذي لا يعيش حالة التسليم الاختياري؛ فإنّه -أيضاً- خاضع للقوّة الإلهيّة، ولكنّه مُجبَر عليها؛ فيكون ذليلاً.

٣) الجبروت:

ورد في القرآن الكريم أنّ من الأسماء الإلهيّة هو: اسم الجبّار. والجبّار مبالغة في الذي تنفذ إرادته، ويَجْبِر على ما يشاء. وهذه الصفة تختصّ بالله عزّ وجلّ. ولذا، ورد عن الإمام علي عليه السلام -في كتابه لمالك الأشتر حين ولّاه على مصر -: "**إيّاك ومساماة الله في عظمته، والتشبّه به في جبروته؛ فإنّ الله يذلّ كلّ جبّار، ويهين كلّ مختال**"[٢٦]. ويترتّب على الإيمان بأنّ الجبروت لله فقط؛ عدّة فوائد، منها:

- الجبروت: هو صاحب الإرادة الغالبة؛ لأنّ الإرادة الإلهيّة تغلب إرادة كلّ مُريد؛ فهو يتمكّن في أيّ لحظة أن يمنع الإنسان من أن يتصرّف تصرّفاً في أيّ أمر من الأمور؛ حتى تلك الأمور الخاضعة له، والتي تقع تحت سيطرته.
- يعني: أنّ الإنسان قد يشذّ به الحال، فيريد الخروج عن الإرادة الإلهيّة، ولكنّ الإرادة الإلهيّة غالبة على كلّ شيء. وهذا حقّ الهي؛ لأنّ العباد مملوكون لله تعالى، والمالك له حقّ التصرّف في ملكه بما يشاء.
- وصف الله عزّ وجلّ نفسه بهذا الاسم في القرآن، كما نلجأ في الدعاء إلى التوسّل بهذا الاسم الإلهي؛ لأنّ ذلك يُشعِر الإنسان في نفسه الذلّ والمسكنة لربّ العزّة والجلال. فمعرفة الله بصفاته تجعل الإنسان يُحسن اتّخاذ الموقف في هذه الدنيا.

٢٦- الموسوي، محمد بن الحسين بن موسى(الشريف الرضي): نهج البلاغة(الجامع لخطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله وحكمه)، شرح محمد عبده،ط١، قم المقدّسة، دار الذخائر، ١٤١٢هـ.ق/ ١٣٧٠هـ.ش، ج٣، كتاب٥٣، ص٨٥.

- من الآثار التربوية المترتّبة على التوسّل بهذه الأسماء: حصول الإيمان الثابت في القلب؛ لأنّ الإنسان يعلم من خلالها أنّ الإرادة الإلهية غالبة على كلّ شيء؛ فإذا استشعر الخطر، أو جاءه عدوّ، أو أراد به أحد سوءاً؛ يعلم حينها أنّ جبروت الله غالب على كلّ شيء.

٤) العلم المحيط:

العلم يعني المعرفة؛ وهو: ضدّ الجهل. ودليل سعة العلم الإلهي: أنّ الله هو الخالق؛ فلا بدّ وأن يكون عالماً بكلّ شيء: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ "[٢٧].

وفي القرآن الكريم آيتان تتحدّثان عن سعة العلم الإلهي، هما: قوله تعالى:

"۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ "[٢٨].

والعلم الإلهي: هو علم إحاطة؛ أي أنّه يُدرِك الأشياء بتمامها، وبكافّة وجوهها وجزئيّاتها، بل وبما ستصير إليه. والاعتقاد بسعة العلم الإلهي له آثاره على الإنسان في هذه الدنيا، ومن هذه الفوائد:

- الامتناع عن الذنب: إنّ الإيمان بالعلم الإلهي المطلق يُولِّد الشعور بالرقابة الدائمة.

حُكِيَ أنّ بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين؛ فشقّ على الآخرين ذلك، فأراد أن يُظهر لهم فضيلة ذلك المريد، فأعطى كلّ واحد منهم طائراً، وقال له: اذبح هذا حيث لا يراك أحد، فذهبوا، ثمّ جاؤوا قد ذبح كلّ واحد منهم طائره إلا ذلك المريد؛ فإنّه ردّ طائره حيّاً، فقال الشيخ: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد؛ فإنّ الله تعالى يراني في كلّ موضع، فقال الشيخ: لهذا أميل إليه؛ لأنّه لا يلتفت إلى غير الله عزّ وجلّ[٢٩].

٢٧- الملك: ١٤،

٢٨- الأنعام: ٥٩، ٦٠

٢٩- الكاشاني، محمد بن المرتضى(الفيض الكاشاني): المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٢، قم المقدّسة، دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم؛ مطبعة مهر، لات، ج٢، ص١١٥-١١٦.

- الابتعاد عن التفكير بالمعصية: مع اشتداد الإيمان بالعلم الإلهي يحدث تعظيم هيبة الله تعالى في قلب الإنسان، فيصرفه ذلك عن التفكّر بالعصيان: "يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾"[٣٠]، "وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ"[٣١]، "إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ"[٣٢].
- إدراك المظلوم أنّ حقّه لا يضيع: فإنّه، وإن كان قد لا يتمكّن من إثبات حقّه، ولكنّ الله عزّ وجلّ عالم بحقّه؛ فيأخذه له.
- إدراك الظالم أنّه إن أخفى حقّ غيره في هذه الدنيا؛ فإنّه لن يخفى على الله عزّ وجلّ، وسيأخذه منه في الدنيا أو في الآخرة.

رابعًا: موانع استجابة الدعاء:

لقد ذكرت بعض الروايات ذنوباً متعدّدة، إن ارتكبها الإنسان تحول بينه وبين إجابة دعائه، مثل سوء النية، النفاق، تأخير الصلاة عن وقتها، اللسان البذيء الذي يخشاه الناس، الطعام الحرام، وترك الصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى[٣٣].

وفي الاحتجاج، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سُئل: أليس يقول الله: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)؟ وقد نرى المضطّر يدعوه ولا يجاب له، والمظلوم يستنصره على عدوّه فلا ينصره!

قال: "**ويحك! ما يدعوه أحدٌ إلاّ استجاب له، أمّا الظالم فدعاؤه مردود إلى أن يتوب، وأمّا المحقّ فإذا دعا استجاب له وصرف عنه البلايا من حيث لا يعلمه، أو ادّخر له ثواباً جزيلاً ليوم حاجته إليه، وإن لم يكن الأمر الذي سأل العبد خيراً له إن أعطاه، أمسك عنه**"[٣٤].

٣٠- غافر: ١٩.

٣١- البقرة: ٢٨٤،

٣٢- فاطر: ٢٨،

٣٣- معاني الأخبار، طبقاً لما أورده تفسير نور الثقلين: ٤/ ٥٣٤ وأصول الكافي.

٣٤- تفسير الصافي، ذيل تفسير الآيات ٦٠ ٦٣ من سورة مؤمن (غافر).

ما معنى الآيتين؟

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما سأله أحدهم، قال: قلت: آيتان في كتاب الله عزّ وجلّ أطلبهما فلا أجدهما!

قال عليه السلام: **"وما هما"؟**

قلت: قول الله عزّ وجلّ: "وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ"، فندعوه ولا نرى إجابة.

قال عليه السلام: "**أفترى الله عزّ وجلّ أخلف وعده**"؟

قلت: لا.

قال: "**فممّ ذلك**"؟

قلت: لا أدري.

قال عليه السلام: "**لكنّي أخبرك، من أطاع الله عزّ وجلّ فيما أمره من دعائه من جهة الدعاء أجابه**".

قلت: وما جهة الدعاء؟

قال: "**تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك، ثمّ تشكره، ثمّ تصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثمّ تذكر ذنوبك فتُقِرّ بها، ثمّ تستعيذ منها، فهذا جهة الدعاء**"[٣٥].

٣٥- تفسير البرهان: ٣/ ٣٥٣.

التقويم:

١- ما معنى معرفة الله (عزَّ وجلَّ) ؟

٢- ما معنى معرفة الله (عزَّ وجلَّ) ؟

٣- اشرح العبارة التالية: " معرفة المدعو شرط في الاستجابة ".

٤- ما هي موانع استجابة الدعاء؟

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثاني

آثار الذنوب

اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ النِّقَمَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُغَيِّرُ النِّعَمَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لي الذُّنُوبَ الَّتي تَحْبِسُ الدُّعاءَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِي الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ الْبَلاءَ، اَللّهُمَّ اغْفِرْ لي كُلَّ ذَنْب اَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطيئَة اَخْطَأْتُها.

أولاً: مفاهيم محوريّة: الآثار التكوينية والتشريعية لارتكاب الذنوب:

- ذنوب تجرّ ذنوباً.
- ذنوب تنزل النقم وتستوجب العقاب.
- ذنوب تزيل النعم.
- ذنوب تمنع الاستجابة.
- ذنوب تنزل البلاء والمصائب.
- ذنوب تقطع الأمل.

ثانيًا: شرح المفردات:

اغفر: أصلها غَفَرَ: "الغين والفاء والراء: عظم بابه الستر، ثمّ يشذّ عنه ما يذكر، فالغفر الستر. والغفران والغفر؛ بمعنى. يقال: غفر الله ذنبه؛ غفراً، ومغفرةً، وغفراناً"[1]. و"الغَفْرُ: إلباس ما يصونه عن الدّنس... والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من الله؛ هو: أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب. قال تعالى: "غُفْرَانَكَ رَبَّنَا "(البقرة: ٢٨٥)، و"وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ "(آل عمران: ١٣٣)، "وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ" (آل عمران: ١٣٥)... والاسْتِغْفَارُ: طلب ذلك بالمقال والفعال...: "فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ "(نوح: ١٠)"[2].

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة"غَفَرَ"، ج٤، ص،٣٨٥

٢- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"غَفَرَ"، ص٦٠٩.

الذنوب: أصلها ذَنَبَ: "والذَّنْبُ في الأصل: الأخذ بذنب الشيء، يقال: ذَنَبْتُه: أصبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتباراً بذنب الشيء، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعة؛ اعتباراً لما يحصل من عاقبته، وجمع الذّنب ذُنُوب"[٣].

تهتك: أصلها هَتَكَ: "الهاء والتاء والكاف: أصل يدلّ على شقّ في شيء. والهتك: شقّ الستر عما وراءه. وهتك عرش فلان؛ هدّ وشقّ"[٤]. "وقد هتكته فانهتك؛ أي: فضحته، والاسم: الهتكة؛ وهي: الفضيحة. وهتك الأستار؛ شدّد للمبالغة. وتهتّك: افتضح"[٥].

العصم: أصلها عَصَمَ: "العين والصاد والميم: أصل واحد صحيح يدلّ على إمساك ومنع وملازمة؛ والمعنى في ذلك كلّه معنى واحد، من ذلك: العصمة أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه. واعتصم العبد بالله تعالى؛ إذا امتنع. واستعصم؛ التجأ"[٦]. "والاعْتِصَامُ: الاستمساك. قال تعالى: "قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ" (هود: ٤٣)؛ أي: لا شيء يَعْصِمُ منه"[٧].

النقم: أصلها نَقَمَ: "النون والقاف والميم: أصل أصيل يدلّ على إنكار شيء وعيبه"[٨]. و"نَقِمْتُ الشَّيْءَ ونَقَمْتُه: إذا أَنْكَرْتُه، إمَّا باللِّسانِ، وإمَّا بالعُقُوبةِ. قال تعالى: "وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ" (التوبة: ٧٤)... والنِّقْمَةُ: العقوبةُ. قال: "فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ" (الأعراف: ١٣٦)"[٩].

البلاء: أصلها بَلَوَى: "الباء واللام والواو والياء: أصلان، أحدهما: إخلاق الشيء، والثاني: نوع من الاختبار، ويحمل عليه الإخبار أيضاً... وأمّا الأصل الآخر، فقولهم: بلى الإنسان، وابتلي؛ وهذا من الامتحان؛ وهو الاختبار... ويكون البلاء في الخير والشرّ.

٣- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة "ذَنَبَ"، ص،٣٣١

٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة "هَتَكَ"، ج٦، ص،٣٢

٥- الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، ج٥، مادّة "هَتَكَ"، ص،٢٩٨

٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة "عَصَمَ"، ج٤، ص،٣٣١

٧- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة "عَصَمَ"، ص،٥٦٩

٨- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة "نَقَمَ"، ج٥، ص،٤٦٤

٩- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة "نَقَمَ"، ص٨٢٢.

والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً وبلاءً سيّئاً؛ وهو يرجع إلى هذا؛ لأنّ بذلك يختبر في صبره وشكره"[10].*

ثالثًا: دلالة المقطع:

أ) الآثار التكوينية والتشريعية لارتكاب الذنوب:

١) ذنوب تجرّ ذنوباً:

لارتكاب الذنوب آثار في هذه الدنيا، ولا يختصّ أثر الذنب بالعقوبة الأخروية.

ولذا، يبيّن لنا هذا المقطع من الدعاء بعضاً من آثار الذنوب التي يَسأل الداعي الله عزّ وجلّ مغفرتها؛ وأوّلها دعاء بمغفرة الذنوب التي تكون سبباً في زوال مِنْعَة العبد عن الوقوع في المعاصي:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: "**والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي ما يُضحِك الناس؛ من اللغو، والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب**"[11].

وهذه ذنوب تجرّ ذنوباً؛ فشارب الخمر لا يدري ما يفعل، فشربه للخمر يجرّه إلى ارتكاب ذنوب أخرى، وكذلك الحال في الذنوب الأخرى التي وردت في الرواية؛ فإنّ اللغو والمزاح يجرّان إلى أذيّة الناس أو الكذب، ومجالسة أهل الريب تجرّ إلى الانحراف وزوال الإيمان.

والتقوى؛ هي العصمة التي لا بدّ أن يتمسّك بها الإنسان لتحصين نفسه وضمان منعتها؛ فإذا زالت تتالت الذنوب عليه وأقعدته عن المسير في طريق الكمال والسعادة الأبدية.

١٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، مادّة"بَلَوَى"، ج١، ص٢٩٢-٢٩٣.

*-... وسمّي التكليف بلاءً من أوجه: أحدها: أنّ التكاليف كلّها مشاق على الأبدان، فصارت من هذا الوجه بلاء. والثاني: أنّها اختبارات، ولهذا قال الله عزّ وجل: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)(محمد: ٣١). والثالث: أنّ اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسارّ؛ ليشكروا، وتارة بالمضارّ؛ ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر... قال تعالى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)(الأنبياء: ٣٥)، (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً)(الأنفال: ١٧)".

١١- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لاط، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة، ١٣٧٩هـ.ق/ ١٣٣٨هـ.ش، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص٢٧١.

٢) ذنوب تنزل النقم وتستوجب العقاب:

إنّ من الذنوب ما يُعاقب عليه الإنسان في الدنيا قبل الآخرة:

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: "**والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف بالبغي، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم**"[١٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**خمس بخمس: ما نقض قوم العهد؛ إلا سلّط عليهم عدوّهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله؛ إلا نشأ فيهم الفقر، ولا ظهر فيهم الفاحشة؛ إلا فشا فيهم الموت، ولا طفقوا المكيال؛ إلا مُنِعُوا النبات، وأُخِذُوا بالسنين، ولا مَنَعوا الزكاة؛ إلا حُبِسَ عنهم القطر**"[١٣].

٣) ذنوب تزيل النعم:

إنّ الله عزّ وجلّ يُنعم بكرمه على هذا الإنسان، ولكنّ الإنسان بارتكابه للذنوب يفقد هذه النعم؛ فزوال النعم مرتبط بزوال الاستقامة. والانحراف سبب لزوال النعمة:

قال الله تعالى: "ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾"[١٤]. وهذه سنّة إلهية ثابتة.

وروي عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بيان تلك الذنوب الُموجِبَة لزوال النعم، حيث يقول: "**الذنوب التي تغيِّر النعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر. قال الله تعالى في سورة الرعد(١١):** "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ"[١٥]. وكما تذكر الرواية، فإنّ أوّلها هو الظلم؛ وأدنى مراتبه منع الحقوق؛ وهو في صورة اشتغال ذمّته بردّ حقوق الناس وعدم وفائه بذلك.

١٢- الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص ٢٧٠-٢٧١،

١٣- المتقي الهندي، علاء الدين علي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير بكري حياني، تصحيح وفهرسة صفوة السقّا، لاط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩هـ ق/ ١٩٨٩م، ج١٦، ح٤٤٠٠٦، ص٧٩،

١٤- الأنفال: ٥٣،

١٥- الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص ٢٧٠.

٤) ذنوب تمنع الاستجابة:

إنّ السبب في حبس الدعاء؛ أي عدم استجابة الله للدعاء؛ هو: فعل الإنسان، وإلا فإنّ العطاء الإلهي لا يقف عند حدّ. والغفلة هي الأساس في حبس الدعاء:

"إنّ الله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت؛ فأقبل بقلبك"[١٦].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: **"والذنوب التي تردّ الدعاء: سوء النيّة، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالبرّ والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول"**[١٧].

فكيف يمكن للقلب الملوَّث بالذنوب أن يقف بين يدي مَنْ أساء إليه واجترأ عليه؛ ليطلب منه الحاجة؟!

وفي دعاء السحر للإمام زين العابدين عليه السلام: **"سيدي، لعلّك عن بابك طردتني، وعن خدمتك نحيّتني، أو لعلّك رأيتني مستخفّاً بحقّك؛ فأقصيتني، أو لعلّك رأيتني معرضاً عنك؛ فقليتني، أو لعلّك وجدتني في مقام الكاذبين؛ فرفضتني، أو لعلّك رأيتني غير شاكر لنعمائك؛ فحرمتني، أو لعلّك فقدتني من مجالس العلماء؛ فخذلتني، أو لعلّك رأيتني في الغافلين؛ فمن رحمتك آيستني، أو لعلّك رأيتني آلف مجالس البطّالين؛ فبيني وبينهم خلّيتني، أو لعلّك لم تُحب أن تسمع دعائي؛ فباعدتني، أو لعلّك بجرمي وجريرتي؛ كافيتني، أو لعلّك بقلّة حيائي منك؛ جازيتني"**[١٨].

٥) ذنوب تنزل البلاء والمصائب:

البلاء: هو المصاب الذي يُورِث الهمّ والغمّ؛ وهو من فعل الإنسان: "وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾"[١٩].

١٦- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الدعاء، باب الإقبال على الدعاء، ح١، ص،٤٧٣

١٧- الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص،٢٧١

١٨- الطوسي، مصباح المتهجّد، م.س، دعاء السحر في شهر رمضان، ص،٥٨٨

١٩- الشورى: ٣٠.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: **"والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"**[٢٠].

٦) ذنوب تقطع الأمل:

والمراد بها خصوص الذنوب التي تُوجِب اليأس؛ لأنّ الرجاء هو الأمل، فالمذنب يرى نفسه بعيداً عن الله، وكلّما غرق في ذنبه؛ ازداد اليأس فيه. ولذا، كان الحذر من الذنوب بابَ بقاء الرجاء:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: **"والذنوب التي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزّ وجلّ"**[٢١].

رابعًا: التدبّر في آثار حسن الظنّ بالله تعالى:

عن بريد بن معاوية، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام ، قال: **"وجدنا في كتاب علي عليه السلام: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال على منبره: "والذي لا إله إلّا هو ما أُعْطِي مؤمنَ قط خيرُ الدنيا والآخرة إلّا بحسب ظنّه بالله، ورجائه له، وحُسْن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار، إلّا بسوء ظنّه بالله، وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين. والذي لا إله إلّا هو لا يحسن ظنّ عبدٍ مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم بيده الخير يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلِف ظنّه ورجاءه. فأحسِنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه"**[٢٢].

إنّ التدبّر في هذه الرواية يقود الإنسان إلى حقيقة اتّخاذ حسن الظنّ بالله تعالى عوناً في كلّ أمر يعرض عليه؛ فيحسن ظنّه بالله بالمغفرة له حين يستغفره، وبقبول توبته إذا تاب عن معصيته، وبالإجابة إذا دعاه مخلصاً، وبالكفاية إذا استكفاه وتوكّل عليه، وبقبول عمله عند قيامه به.

٢٠- الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص،٢٧١

٢١- الصدوق، معاني الأخبار، م.س، باب معنى تفسير الذنوب، ح٢، ص،٢٧١

٢٢- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الظنّ بالله، ح٢، ص ٧١-٧٢.

ومن هنا، ينبغي علينا أن نركن إلى حسن الظنّ بالله تعالى في جميع أمورنا، وأن نؤدّي أعمالنا موقنين بالإجابة؛ فإنّ الله تعالى وَعَدَنا بقبول توبتنا إذا كانت صادقة خالصة له: "وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ "[23]، وإذا كانت توبة نصوحة: "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ "[24]، وصادرة عن جهالة: "إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ "[25].

٢٣- الشورى: ٢٥،

٢٤- التحريم: ٨،

٢٥- النساء: ١٧، ١٨.

التقويم:

١- عدِّد الذنوب التي تهتك العصم.

٢- عدِّد الذنوب التي تنزل النقم.

٣- عدِّد الذنوب التي تغير النعم.

٤- عدِّد الذنوب التي تحبس الدعاء.

٥- عدِّد الذنوب التي تنزل البلاء.

٦- عدِّد الذنوب التي تقطع الرجاء.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثالث

نعم مجهولة

اَللّهُمَّ مَوْلاي كَمْ مِنْ قَبيح سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِح مِنَ الْبَلاءِ اَقَلْتَهُ (اَمَلْتَهُ) وَكَمْ مِنْ عِثار وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوه دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَناء جَميل لَسْتُ اَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ.

أولاً: مفاهيم محوريّة:

النعم الإلهية: ظاهرة، وباطنة خفية.

من النعم الباطنة: ستر قبائح العباد، والوقاية من البلاء، ومغفرة العثرات، ودفع المكروه، ونشر الثناء.

ثانيًا: شرح المفردات:

فادح: أصلها فَدَحَ "الفاء والدال والحاء: كلمة فدحه الأمر؛ إذا عاله وأثقله فدحاً؛ وهو أمر فادح"[1].

أقلته: أصلها قَلَّ: "القاف واللام: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على نزاره الشيء، والآخر: على خلاف الاستقرار؛ وهو الانزعاج... وأمّا الأصل الآخر، فيقال: تقلقل الرجل وغيره؛ إذا لم يثبت في مكان، وتقلقل المسمار؛ قلق في موضعه"[2].

عثار: أصلها عَثَرَ: "العين والثاء والراء: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على الاطّلاع على الشيء، والآخر: على الإثارة للغبار"[3]. و"عَثَرَ الرّجلُ يَعْثُرُ عِثَاراً وعُثُوراً؛ إذا سقط، ويتجوّز به فيمن يطّلع على أمر من غير طلبه. قال تعالى: "فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا" (المائدة: ١٠٧)"[4].

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"فَدَحَ"، ص،٤٨٤

٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قلّ"، ص،٣

٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"عَثَرَ"، ص،٢٢٨

٤- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"عَثَرَ"، ص٥٤٦.

وقيته: أصلها وَقَى: "الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدلّ على دفع شيء عن شيء بغيره. ووقيته: أقيه وقياً. والوقاية: ما بقي الشيء. واتّقِ الله: توقَّه؛ أي اجعل بينك وبينه كالوقاية"[٥]. و"الوِقَايَةُ: حفظُ الشيءِ ممّا يؤذيه ويضرّه"[٦].

مكروه: أصلها كَرَهَ: "الكاف والراء والهاء: أصل صحيح واحد يدلّ على خلاف الرضا والمحبّة"[٧]. و"قيل: الْكَرْه والْكُرْه واحد، نحو: الضّعف والضّعف، وقيل: الكَرْه: المشقّة التي تنال الإنسان من خارج في ما يحمل عليه بِإِكْرَاه، والكُرْه: ما يناله من ذاته وهو يعافه؛ وذلك على ضربين: أحدهما: ما يعاف من حيث الطَّبع. والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشّرع... وقوله: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ"(البقرة: ٢١٦)؛ أي: تَكْرَهُونَه من حيث الطَّبع... قال تعالى: "وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ"(التوبة: ٣٢)"[٨].

دفعته: أصلها دَفَعَ: "الدال والفاء والعين: أصل واحد مشهور يدلّ على تنحية الشيء. يقال: دفعت الشيء أدفعه دفعاً. ودافع الله عنه السوء دفاعاً"[٩].

الثناء: أصلها ثَنَى: "الثاء والنون والياء: أصل واحد؛ وهو: تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين؛ وذلك قولك: ثنيت الشيء ثنياً"[١٠]. "وقيل: الثُّنْوَى والثَّنَاء: ما يذكر في محامد الناس، فيثنى حالاً فحالاً ذكره، يقال: أثني عليه"[١١].

ثالثًا: دلالة المقطع:

أ) قبائح مستورة:

قد يتمكّن الإنسان من أن يخفي بعض الذنوب عن الناس؛ كالذنوب التي يرتكبها في السرّ، ولكنّه لا يستطيع أن يخفيها عن الله عزّ وجلّ؛ لأنّه تعالى بكلّ شيء محيط. والله عزّ وجلّ هو الوحيد الذي يستر الذنوب؛ وذلك عندما يبادر الإنسان إلى التوبة:

٥- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٦، مادّة"وَقَى"، ص،١٣١

٦- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"وَقَى"، ص،٨٨١

٧- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"كَرَهَ"، ص،١٧٢

٨- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"كَرَهَ"، ص٧٠٧-،٧٠٨

٩- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"دَفَعَ"، ص،٢٨٨

١٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة"ثَنَى"، ص،٣١٩

١١- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"ثَنَى"، ص١٧٨-١٧٩.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام –حيث سمعه معاوية بن وهب يقول –: **"إذا تاب العبد المؤمن توبة نصوحاً؛ أحبّه الله، فستر عليه في الدنيا والآخرة. قلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب... فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب"**[١٢].

ب) بلاء مدفوع:

إنّ الإنسان مخلوق ضعيف معرَّض للكثير من الابتلاءات؛ من المرض، والمهانة، والفضيحة، وغيرها، وبعض هذه البلاءات قد يكون فادحاً؛ أي عظيماً وكبيراً؛ بحيث يثقل على الإنسان حمله. والله عزّ وجلّ يُقيل الإنسان منه؛ أي يعفو عنه، ويدرأ عنه الابتلاء به:

عن الإمام الصادق عليه السلام: **"أمّا إنّه ليس من عِرق يضرب، ولا نكبة، ولا صداع، ولا مرض؛ إلّا بذنب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ في كتابه:** "وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ" **، وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به"**[١٣].

ج) زلل ممنوع:

إنّ النفس الأمّارة تدفع الإنسان لارتكاب الأخطاء والمعاصي، والشيطان يزيّنها للإنسان؛ لكي يجعلها في صورة محبَّبة له. ولذا، كان الإنسان مُعرّضاً في حياته للوقوع في المعاصي. ومتى نظر الإنسان إلى ما يمكن أن يصدر منه من ذنوب أدرك رحمة الله به؛ الذي يصونه ويحفظه عن الوقوع بها:

عن الإمام علي عليه السلام: **"كيف يصبر عن الشهوة من لم تعنه العصمة؟!"**[١٤].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"قال الله سبحانه: إذا عَلِمْتُ أنّ الغالب على عبدي الاشتغال بي؛ نقلت شهوته في مسألتي ومناجاتي، فإذا كان عبدي كذلك؛ فأراد أن يسهو؛ حلت بينه وبين أن يسهو، أولئك أوليائي حقّاً"**[١٥].

١٢- ابن بابويه، ثواب الأعمال، م.س، ص،١٧١

١٣- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، ح٣، ص،٢٦٩

١٤- الليثي الواسطي، علي بن محمد: عيون الحكم والمواعظ، تحقيق حسين الحسيني البيرجندي، ط١، لام، دار الحديث، لات، ص،٣٨٤

١٥- المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار، تحقيق إبراهيم الميانجي؛ محمد باقر البهبودي، ط٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٩٨٣م، ج٩٠، ص١٦٢.

د) مكاره مأمونة:

إنّ الإنسان يكره كلّ ما يخالف الراحة والدعة ويشقّ عليه، وما من إنسان في هذه الدنيا إلا وهو معرَّض للمكاره، ولكنّ الله يدفع عن الإنسان الكثير منها، فيحول بينها وبين الإنسان؛ أي يصرف عنه الابتلاء بها.

والإنسان يُدرِك ذلك متى رأى تلك المكاره تصيب مَنْ حوله من الناس. ولذا، كان عليه إذا رأى ذلك أن يحمد الله على أن وقاه منها:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: **"تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المُبتلى من غير أن تُسمِعُه: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به، ولو شاء فعل. قال: من قال ذلك لم يصبه ذلك البلاء أبداً"**[١٦].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **"إذا رأيت الرجل قد ابتُلي وأنعم الله عليك، فقل: اللهمّ إنّي لا أسخر، ولا أفخر، ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي"**[١٧].

هـ) صيت حسن:

يحبّ الإنسان أن يكون ذكره بين الناس حسناً؛ فتمدحه الناس وتثني عليه؛ لما هو عليه من الصفات، وقد يكون الإنسان أهلاً لذلك، وقد لا يكون أهلاً له، ومتى وجد أنّ صيته الحسن انتشر بين الناس، واعتقد أنّه ليس أهلاً له؛ فإنّ عليه أنّ يعلم أنّ هذا من عند الله، وعليه أن يشكر الله على ذلك.

والذكر الحسن بين الناس أمر ممدوح؛ شرط أن لا يكون مُوجباً لبطلان العمل؛ أي شرط أن يحذر الإنسان من أن يُبتَلى بالرياء المُبطل له: روي عن الإمام الباقر عليه السلام: **"الإبقاء على العمل أشدّ من العمل، قال – الراوي-: وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصل الرجل بصلة، وينفق نفقة لله وحده لا شريك له؛ فكتب له سرّاً، ثمّ يذكرها؛ فتمحى فتكتب له علانية، ثمّ يذكرها؛ فتمحى وتكتب له رياء"**[١٨].

وفي دعاء أمير المؤمنين عليه السلام –لمّا مدحه قوم في محضره -: **"اللهمّ إنّك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهمّ اجعلنا خيراً ممّا يظنّون، واغفر لنا ما لا يعلمون"**[١٩].

١٦- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح٢٠، ص٩٧،

١٧- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ح٢٢، ص٩٨،

١٨- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الرياء، ح١٦، ص٢٩٦-٢٩٧،

١٩- الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة ١٠٠، ص٢٢.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم –في وصية له لأمير المؤمنين عليه السلام –: **"إذا أثِنيَ عليك في وجهك، فقل: اللهمّ اجعلني خيراً ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"**[٢٠].

ومن هذا المنطلق، فإنّ صاحب التقوى، والمؤمن حقّاً يخاف من الآثار السلبيّة للمديح، ويواجه ذلك بما وصف به الإمام علي عليه السلام المتقين، حيث قال عليه السلام: **"إذا زكّي أحد منهم؛ خاف ممّا يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي منّي بنفسي! اللهمّ لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون"**[٢١].

رابعًا: التدبّر في مخاطر العُجُب:

عن الإمام الصادق عليه السلام: **"أتى عالم عابداً، فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يُسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: أبكي حتى تجري دموعي، فقال له العالم: فإنّ ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء"**[٢٢].

وعنه عليه السلام –أيضاً–: **"قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنا من موسى عليه السلام خلع البرنس، وقام إلى موسى، فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ فقال: أنا إبليس، قال: أنت! فلا قرّب الله دارك. قال: إنّي إنّما جئت لأسلِّم عليك؛ لمكانك من الله، قال: فقال له موسى عليه السلام: فما هذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجَبَتْه نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه"**[٢٣].

٢٠– الحرّاني، ابن شعبة: تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، ط٢، قم المقدّسة، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقمّ المقدّسة، ١٤٠٤هـ.ق/ ١٣٦٣هـ.ش، ص،١٢

٢١– الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٩٣، ص١٦٢–،١٦٣

٢٢– الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٥، ص،٣١٣

٢٣– الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٨ ص٣١٤.

إنّ العجب خُلُق رديء يتسلّل إلى النفس من خلال الطاعات والعبادات؛ حيث إنّ الإنسان بفعل التزامه بادائهما قد يحصل لديه عجب بنفسه؛ بما تؤدّيه من طاعة وعبادة وأفعال حسنة، ويجد من نفسه القوّة والاستقلال في أدائها والاهتداء إليها؛ ما يؤدّي إلى انقطاعه عن ربّه، واحتجابه عن نور الهداية، وسلبه التوفيق، وبطلان عمله وزوال أثره.

ويحصل الانتباه من هذا الفخ المُهلِك من خلال التفكّر في النفس، وضعفها، وفقرها، واحتياجها إلى الله تعالى، والتي لولا رحمته ولطفه وعنايته؛ لما تمكّنت من الاهتداء إلى صالح الأعمال.

التقويم:

١- عدد بعضًا من النعم المجهولة.

٢- ما الغاية من ستر الله (عزَّ وجلَّ) لذنوب عباده؟

٣- ما الذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذ عليه الشيطان وتمكَّن منه؟

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الرابع

دوافع المعاصي

اَللّهُمَّ عَظُمَ بَلائي وَاَفْرَطَ بي سُوءُ حالي، وَقَصُرَتْ بي اَعْمالي وَقَعَدَتْ بي اَغْلالي، وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ أمَلي، وَخَدَعَتْني الدُّنْيا بِغُرُورِها، وَنَفْسي بِجِنايَتِها.

أولاً: مفاهيم محوريّة:

- أعظم البلاء ارتكاب المعاصي والآثام.
- الإفراط في المعاصي.
- قصور عمل الإنسان عن الوفاء بحقّ الله تعالى.
- أبرز دوافع المعاصي:

١) إقعاد النفس بأغلال المعاصي.

٢) طول الأمل.

٣) الاغترار بالدنيا الخدّاعة.

٤) اتّباع النفس الأمارة.

٥) المماطلة والتسويف في التوبة.

ثانيًا: شرح المفردات:

أفرط: أصلها فَرَطَ: "الفاء والراء والطاء: أصل صحيح يدلّ على إزالة شيء عن مكانه وتنحيته عنه... فهذا هو الأصل، ثمّ يقال: أفرط إذا تجاوز الحدّ في الأمر. يقولون: إياك والفرط؛ أي لا تجاوز القدر؛ وهذا هو

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة "فَرَطَ"، ص ٤٩٠.

القياس؛ لأنّه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته. وكذلك التفريط؛ وهو التقصير؛ لأنّه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له"[١]. "قوله تعالى: "مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ" (يوسف: ٨٠)؛ أي ما قصّرتم في أمره..."[٢].

قصرت: أصلها قَصُرَ: "القاف والصادّ والراء: أصلان صحيحان، أحدهما: يدلّ على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر: على الحبس. والأصلان متقاربان.

فالأوّل: القصر خلاف الطول... وقصرت عنه قصوراً؛ عجزت. والأصل الآخر... إذا حبسته؛ وهو مقصور؛ أي محبوس. قال الله تعالى: "حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾"[٣].

قعدت: أصلها قَعَدَ: "القاف والعين والدال: أصل مطّرد منقاس لا يخلف؛ وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يتكلّم في مواضع لا يتكلّم فيها بالجلوس... والإقعاد والقعاد داء يأخذ الإبل في أوراكها فيميلها إلى الأرض"[٤]. "ويعبّر عن المتكاسل في الشيء بِالْقَاعدِ نحو قوله: "لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ "(النساء: ٩٥)"[٥].

الأغلال: أصلها غَلَّ: "الغين واللام: أصل صحيح يدلّ على تخلّل شيء وثبات شيء؛ كالشيء يغرز"[٦]. و"الغَلَلُ: تدرّع الشيء وتوسّطه... فالْغُلُّ مختصّ بما يقيّد به فيجعل الأعضاء وسطه، وجمعه أَغْلَالٌ، وغُلَّ فلان: قيّد به. قال تعالى: "خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ "(الحاقة: ٣٠)، وقال:"إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ "(غافر: ٧١)"[٧]. حبسني: أصلها حَبَسَ: "الحاء والباء والسين. يقال: حبسته حبساً. والحبس: ما وقف"[٨]. و"الحَبْس: المنع من الانبعاث، قال عزّ وجلّ: "تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ"(المائدة: ١٠٦)"[٩].

٢- الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٤، مادّة"فَرَطَ"، ص،٢٦٤

٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قَصُرَ"، ص٩٦-،٩٧

٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قَعَدَ"، ص١٠٨-،١٠٩

٥- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"قَعَدَ"، ص٦٧٨-،٦٧٩

٦- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"غَلَّ"، ص،٣٧٥

٧- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"غَلَّ"، ص،٦١٠

٨- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"حَبَسَ"، ج٢، ص،١٢٨

٩- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"حَبَسَ"، ص٢١٦.

خدعتني: أصلها خَدَعَ: "الخاء والدال والعين: أصل واحد ذكر الخليل قياسه. قال الخليل: الإخداع إخفاء الشيء"[١٠]. و"الخِدَاع: إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه، قال تعالى: "يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ " (البقرة: ٩)؛ أي: يخادعون رسوله وأولياءه، ونسب ذلك إلى الله تعالى؛ من حيث إنّ معاملة الرّسول كمعاملته"[١١].

غرورها: أصلها غَرَّ: "الغين والراء: أصول ثلاثة صحيحة، الأوّل: المثال، والثاني: النقصان، والثالث: العتق والبياض والكرم"[١٢]. و"غَرَرْتُ فلاناً: أصبت غِرَّتَه ونلت منه ما أريده. والغِرَّةُ: غفلة في اليقظة. والْغِرَارُ: غفلة مع غفوة، وأصل ذلك من الْغُرِّ؛ وهو الأثر الظاهر من الشيء... قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ "(الانفطار: ٦)"[١٣].

جنايتها: أصلها جَنَى: "الجيم والنون والياء: أصل واحد؛ وهو: أخذ الثمرة من شجرها، ثمّ يحمل على ذلك... ومن المحمول عليه: جنيت الجناية؛ أجنيها"[١٤].

ثالثًا: دلالة المقطع:

أ) أعظم البلاء ارتكاب المعاصي والآثام:

يُقَاس البلاء العظيم عند الناس -عادّة- بالأمور المادّيّة؛ من الفقر، والمرض، ولكنّ البلاء الحقيقي يترتّب على الذنوب التي تصدر من الإنسان؛ ما يستوجب الغضب الإلهي، واستحقاق العذاب الأخروي؛ الذي هو أعظم من كلّ عذابات الدنيا:

عن الإمام علي عليه السلام -في وصية له لابنه الإمام الحسن عليه السلام -: **"إنّ من البلاء: الفاقة، وأشدّ من ذلك: مرض البدن، وأشدّ من ذلك: مرض القلب"**[١٥].

١٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"خَدَعَ"، ص،١٦١

١١- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"خَدَعَ"، ص،٢٧٦

١٢- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"غَرَّ"، ص،٣٨١

١٣- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"غرَّ"، ص،٦٠٤

١٤- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج١، مادّة"جَنَى"، ص،٤٨٢

١٥- الطوسي، محمد بن الحسن: الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسّسة البعثة، ط١، قم المقدّسة، دار الثقافة، ١٤١٤هـق، المجلس٥، ح٥٣، ص١٤٦-١٤٧.

ب) الإفراط في المعاصي:

يحذر الإنسان في حياته ومعاشه الكثير من المضارّ الدنيوية، ولو سوَّلت له نفسه أن يفعل ما فيه الضرر الدنيوي؛ كالتدخين، ونحوه؛ فإنّه يتجنّب الإكثار منه؛ لأنّ ذلك يؤدّي به إلى الموت والهلاك. وكذلك الحال بالنسبة لارتكاب المعاصي؛ فإنّه إفراط بهذه النفس ومورد لهلاكها، فالإنسان يحفظ نفسه من المخاطر الماديّة، ولكنّه هل يفكّر في حفظ نفسه من المخاطر المعنوية؛ التي تنتهي به إلى جهنم؟!

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: **"كان أبي عليه السلام يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة؛ إنّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به؛ حتى تغلب عليه، فيصير أعلاه أسفله"**[١٦].

ج) قصور عمل الإنسان عن الوفاء بحقّ الله تعالى:

إنّ العمل الصالح قاصر عن تدارك الذنوب التي يقع بها العبد؛ فالعمل الصالح يُوجِب رفعة الدرجة، ولكنّ الذنوب تَذْهَب بكلّ ما يأتي به الإنسان من عمل صالح.

ولو قمنا بمقايسة الأعمال الصالحة التي نقوم بها في هذه الدنيا، مع ثواب الآخرة؛ لأدركنا يقيناً مدى قصور أعمالنا عن استحقاق ذلك الثواب: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم -في وصية له لأبي ذر الغفاري-: **"لو كان لرجل عمل سبعين نبيّاً؛ لاستقلّ عمله؛ من شدّة ما يرى يومئذ -يعني يوم القيامة-"**[١٧].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً: **"لو أنّ رجلاً جرى على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في طاعة الله عزّ وجلّ؛ لحقّر ذلك يوم القيامة، ولودّ أنّه يُردّ إلى الدنيا؛ كيما يزداد من الأجر والثواب"**[١٨].

١٦- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الذنوب، ح١، ص٢٦٨،

١٧- الطبرسي، الحسن بن الفضل: مكارم الأخلاق، ط٦، لام، منشورات الشريف الرضي، ١٣٩٢هـ ق/ ١٩٧٢م، ص٤٦٤،

١٨- المتّقي الهندي، كنز العمّال، م.س، ج١٥، ح٤٣١٢٠، ص٧٨٨.

د) أبرز دوافع المعاصي:

١) إقعاد النفس بأغلال المعاصي:

الُمقعَد: هو الذي لا يستطيع الحركة، ولكنّ الإنسان القادر على الحركة قد تُقعِدهُ الأغلال؛ وهي: هوى النفس، والنفس الأمّارة بالسوء، والخُلُق السيّئ؛ من أنانية، وغيرها. فهي أغلال نفسية تجعل الشيطان مسيطراً عليه يسوقه حيث ما أراد:

قال تعالى: "ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾"[١٩]. وقال تعالى أيضاً: "وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾"[٢٠]. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"بينما موسى عليه السلام جالساً، إذ أقبل إبليس... قال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه"**[٢١].

ولذا، كانت الخطوة الأولى للخلاص تكمن في فكّ هذه الأغلال، والخروج من ولاية الشيطان إلى ولاية الله (عزَّ وجلَّ)، قال تعالى: "ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾"[٢٢]. وقال تعالى -أيضاً-: "ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾"[٢٣]

٢) طول الأمل:

يُعدّ طول الأمل من أكثر الأسباب التي تمنع الإنسان من الانتفاع بعمره في العمل الصالح للآخرة، ويكفي في مضارّه: أنّه يمنع الإنسان من التوبة؛ لأنّ طول الأمل يُوقِع الإنسان في التسويف، فيبدأ بتأخير التوبة إلى أن يقع به الموت، ولا مهلة له؛ لتدارك ما فات.

١٩- المجادلة: ١٩،

٢٠- الزخرف: ٣٦،

٢١- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب العجب، ح٨ ص٣١٤،

٢٢- البقرة: ٢٥٧،

٢٣- البقرة: ٢٦٨.

وورد في تعاليم أهل البيت عليهم السلام ما يمنع من الوقوع في ذلك:

عن الإمام علي عليه السلام: **"أكثر الناس أملاً أقلّهم للموت ذكراً"**[٢٤]؛ فمن لا يذكر الموت كثيراً ينساه، وبهذا يرى النهاية بعيدة؛ فيطول أمله.

وعنه عليه السلام -أيضاً-: **"أمّا طول الأمل؛ فينسي الآخرة"**[٢٥].

ويكفي للاعتبار أن ينظر الناس إلى من يُدرِكُه الموت من حولهم؛ فإذا بهم يخرجون من الدنيا؛ وهم كانوا يعيشون فيها أملاً طويلاً:

روي عن الإمام علي عليه السلام: **"اتّقوا خداع الآمال؛ فكم من مؤمَّل يوم لم يدركه، وباني بناء لم يسكنه، وجامع مال لم يأكله"**[٢٦].

وطول الأمل، كما يجعل الإنسان مقصّراً في العمل الصالح، يدفعه لارتكاب مساوئ الأعمال؛ لأنّه يسوّف نفسه؛ بالتدارك، والجبران:

روي عن الإمام علي عليه السلام: **"أطول الناس أملاً أسوأهم عملاً"**[٢٧].

٣) الاغترار بالدنيا الخدّاعة:

إنّ التعلّق بهذه الدنيا له أسبابه، ومن أهمّ هذه الأسباب: أنّ الدنيا تخدع الإنسان، وتغرّه، وتمنّيه:

روي عن الإمام علي عليه السلام: **"إن أقبلت غرّت، وإن أدبرت ضرّت"**[٢٨].

ولكن، هل يعني هذا أنّ الإنسان المغترّ بهذه الدنيا معذور؟! لا، بل يمكنه أن يمنع هذا الغرور:

روي عن الإمام علي عليه السلام: **"حقّاً أقول: ما الدنيا غرّتك، ولكن بها اغتررت، ولقد كاشفتك العظات، وآذنتك على سواء، ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص(النقض) في قوّتك؛ أصدق وأوفى من أن تكذّبك أو تغرّك"**[٢٩].

٢٤- الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص،١٢٠

٢٥- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اتّباع الهوى، ح٣، ص،٣٣٦

٢٦- الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص،٩١

٢٧- الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص،١٢٠

٢٨- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٧٥، باب١٥، مواعظ أمير المؤمنين عليه السلام...، ح٨٨، ص،٢٣

٢٩- الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة٢٢٣، ص٢١٥.

٤) اتّباع النفس الأمارة:

إنّ النفس الأمّارة من أعدى أعداء الإنسان؛ وهي من أخطر الشياطين؛ لأنّها الأقوى على خداع الإنسان:

عن الإمام الصادق عليه السلام: "**احذروا أهواءكم؛ كما تحذرون أعداءكم؛ فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم**"[٣٠].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "**أعدى عدوّك؛ نفسك التي بين جنبيك**"[٣١].

وعن الإمام علي عليه السلام: "**إنّ نفسك لخدوع، إن تثق بها؛ يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم**"[٣٢].

ومعالجة هوى النفس وأمانيها الخدّاعة تكمن بمخالفتها على الدوام، فمن يُعلِن العصيان التامّ عليها؛ يُكتَب له الفوز:

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام -في مناجاة الشاكرين-: "**إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مُولعة،... كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشرّ تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، ميّالة إلى اللعب واللهو، مملوة بالغفلة والسهو، تُسرِع بي إلى الحوبة، وتسوّفني بالتوبة**"[٣٣].

٥) المماطلة والتسويف في التوبة:

قال الله تعالى: "إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾"[٣٤].

إنّ العبد يرتكب الذنب، فإذا بادر إلى التوبة أمكنه ذلك من أن يُمحى هذا الذنب، ولكنّ النفس بخداعها وتسويفها، تمنّي الإنسان بالتأخير، فيماطل ويؤخّر إلى أن يحلّ به الموت. وهذا ما حذّرت منه الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، عن الإمام علي عليه السلام: "**لا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجي التوبة بطول الأمل... إن عرضت له شهوة؛ أسلف المعصية، وسوَّف التوبة**"[٣٥].

٣٠- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب اتّباع الهوى، ح١، ص٣٣٥

٣١- الإحسائي، ابن أبي جمهور: عوالي اللئالي، تحقيق مجتبى العراقي، ط١، قم المقدّسة، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، ١٤٠٥هـ.ق/ ١٩٨٥م، ج٤، ص١١٨

٣٢- الواسطي الليثي، عيون الحكم والمواعظ، م.س، ص١٥١

٣٣- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٩١، ص١٤٣

٣٤- النساء: ١٧

٣٥- الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة ١٥٠، ص٣٨-٣٩.

رابعًا: كيف تتراكم الذنوب؟

ورد في حديثٍ عن الإمام الصادق (ع) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بأرضٍ قرعاء، فقال لأصحابه: "**ائتوا بحطب**"، فقالوا: يا رسول الله، نحن بأرض قرعاء! قال: "**فليأتِ كلّ إنسانٍ بما قدر عليه**". فجاؤوا به حتّى رموا بين يديه، بعضه على بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هكذا تجمع الذنوب"، ثمّ قال: "**إيّاكم والمحقّرات من الذنوب؛ فإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنّ طالبها يكتب** "وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ "[٣٦]. هذا الحديث المؤثّر صورة معبّرة عن أنّ تراكم صغائر الذنوب والمعاصي يمكنه أن يولّد ناراً عظيمة اللهب. نقرأ في حديثٍ للإمام علي عليه السلام قوله: "**أشد الذنوب ما استهان به صاحبه**"[٣٧].

خامسًا: التدبّر في مخاطر الاغترار بالدنيا وزينتها الفانية:

شدّد القرآن الكريم على عدم الاغترار بمتاع الحياة الدنيا وزينتها، حتّى المحلّلة منها، وحذّر الإنسان من الوقوع في شراكها؛ لأنّ الشيطان يدخل في هذه المتاع والزينة؛ فيصرف من خلالها الناس عن المعاد واليوم الآخر، وينسيهم ذكر الله تعالى: "ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ "[٣٨]، "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ "[٣٩]. وحقيقة الأمر: إنّ هذه الدنيا ليست إلا معبراً لمستقرّ الآخرة، وهي زائلة عمّا قريب: "إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ "[٤٠]،

٣٦- تفسير نور الثقلين: ٤/ ٣٧٨، ح ٢٥،

٣٧- نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم ٣٤٨،

٣٨- الأعراف: ٥١،

٣٩- لقمان: ٣٣،

٤٠- يونس: ٢٤.

كما قال تعالى: "ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ "[41]

فلا ينبغي على الإنسان أن يستغرق فيها وينسى ذكر الله، بل عليه أن يستفيد منها قدر الإمكان للتزوّد في رحلته ومقصده نحو لقاء الله تعالى: وَٱبۡتَغِ" فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٧٧﴾ "[42].

٤١- الحديد: ٢٠،

٤٢- القصص: ٧٧.

التقويم:

١- ما الذي يجعل الإنسان يسوّف توبته؟

٢- ما هي أبرز دوافع المعصية؟

كيف تتراكم الذنوب؟

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الخامس

حالة الداعي

وَقَدْ اَتَيْتُكَ يا اِلـهي بَعْدَ تَقْصيري وَاِسْرافي عَلى نَفْسي مُعْتَذِراً نادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقيلاً مُسْتَغْفِراً مُنيباً مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً لا اَجِدُ مَفَرّاً مِمّا كانَ مِنّي وَلا مَفْزَعاً اَتَوَجَّهُ اِلَيْهِ في اَمْري غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْري وَاِدْخالِكَ اِيّايَ في سَعَة مِنْ رَحْمَتِكَ.

أولاً: مفاهيم محوريّة:

حالات الداعي:

- الاعتراف بالتقصير والإسراف.
- الاعتذار من الله والندم على ما اقترف.
- الانكسار أمام الله.
- الإقالة إلى الله.
- الإنابة إلى الله.
- الإقرار بالذنب:
- الإذعان لله تعالى.
- الاعتراف بالتقصير.
- التسليم بأنّه لا مفرّ ولا مفزع إلا إلى الله.

ثانيًا: شرح المفردات:

الإسراف: أصلها سَرَفَ: "السين والراء والفاء: أصل واحد يدلّ على تعدّي الحدّ،

والإغفال أيضاً للشيء"[١]. و"السَّرَفُ: تجاوز الحدّ في كلّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر. قال تعالى: "وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾"(الفرقان: ٦٧)..."[٢].

مستقيلاً: أصلها قَيَلَ: "القاف والياء واللام: أصل كلمه الواو وإنما كتب ها هنا للفظ"[٣]. "ومنه: أقاله الله عثرته؛ والعثرة: الخطيئة"[٤].

منيباً: أصلها نَوَبَ: "النون والواو والباء: كلمة واحدة تدلّ على اعتياد مكان ورجوع إليه"[٥]. "والإنابة إلى الله تعالى: الرّجوع إليه بالتّوبة وإخلاص العمل. قال تعالى: "وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"(ص: ٢٤)،"رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا" (الممتحنة: ٤)، "وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ"(الزمر: ٥٤)"[٦].

مقرّاً: أصلها قَرَّ: "القاف والراء: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما: على برد، والآخر: على تمكّن"[٧]. "والإِقْرَارُ: إثبات الشيء... وقد يكون ذلك إثباتاً؛ إمّا بالقلب، وإمّا باللّسان، وإمّا بهما... قال: "وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٨٤﴾"(البقرة: ٨٤)"[٨].

مذعناً: أصلها ذَعَنَ: "الذال والعين والنون: أصل واحد يدلّ على الإصحاب والانقياد"[٩].

مفزعاً: أصلها فَزَعَ: "الفاء والزاء والعين: أصلان صحيحان، أحدهما: الذعر، والآخر: الإغاثة"[١٠]. و"الفَزَعُ: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف؛ وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فَزِعْتُ من الله، كما يقال: خفت منه. وقوله تعالى: "لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ"(الأنبياء: ١٠٣)؛ فهو الفزع من دخول النار، ويقال: فَزِعَ إليه: إذا استغاث به عند الفزع، وفَزِعَ له: أغاثه"[١١].

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة"سَرَفَ"، ص،١٥٣

٢- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"سَرَفَ"، ٤٠٧-،٤٠٨

٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قَيَلَ"، ص،٤٤

٤- الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٥، مادّة"قَيَلَ"، ص،٤٥٩

٥- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"نَوَبَ"، ص،٣٦٧

٦- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"نَوَبَ"، ص،٨٢٧

٧- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٥، مادّة"قَرَّ"، ص،٧

٨- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"قَرَّ"، ص٦٦٢-،٦٦٣

٩- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"ذَعَنَ"، ص،٣٥٥

١٠- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة"فَزَعَ"، ص،٥٠١

١١- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"فَزَعَ"، ص٦٣٥.

ثالثًا: دلالة المقطع:

في هذا المقطع من الدعاء بيان للحالة التي ينبغي أن يكون عليها الداعي عند دعاءه وإقباله على الله؛ وهي:

١) الاعتراف بالتقصير والإسراف:

على الداعي أن يتوجّه إلى الله تعالى في دعائه بلسان الإقرار بالتقصير، ولسان حاله: أنبت إليك يا إلهي، ورجعت إليك، وأنا معترف بما قمت به من تقصير وإسراف: أمّا الاعتراف بالتقصير؛ فلأنّني كنت أمتلك القدرة على عدم الوقوع في المعصية، ولكنّني قصّرت. وأمّا الإسراف؛ فلكثرة الوقوع في الذنوب، ولكنّ ذلك كلّه لا يمنع من العودة والرجوع إلى الله:

قال تعالى: "قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ "[١٢].

والتعبير في الآية: بعلى أنفسهم؛ يبيّن أنّ ذنوب الإنسان تعود كلّها إليه. وخطاب هذه الآية من علامات محبّة الله لعباده ورأفته بهم.

٢) الاعتذار من الله والندم على ما اقترف:

لا يُراد بالاعتذار تبرير المعصية، بل الاعتراف بارتكابها؛ لأنّ الإنسان ليس لديه مبرّر لارتكاب المعاصي؛ بعد أن بيّن الله له كلّ شيء، وحذّره من المعاصي، وكشف له عن مخاطرها.

وأمّا الندم؛ فهو أوّل درجات التوبة، فلا توبة بلا ندم؛ وهو مؤاخذة النفس:

عن الإمام علي عليه السلام: "**الندم أحد التوبتين**"[١٣].

وعنه عليه السلام أيضاً: "**الندم على الذنب يمنع عن معاودته**"[١٤].

ولا شكّ في أنّ الندم في هذه الدنيا أفضل من الندم في الآخرة؛ لأنّه ينفع الإنسان بفتح مجال التدارك والرجوع أمامه؛ وهو غير مُتاح في الآخرة؛ لانقطاع العمل.

١٢- الزمر: ٥٣،

١٣- النوري، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ.ق/ ١٩٨٨م، ج١٢، أبواب جهاد النفس...، باب وجوب ستر الذنوب...، ح١٣٦٧٤، ص١١٨،

١٤- النوري، مستدرك الوسائل، م.س، ج١٢، أبواب جهاد النفس...، باب وجوب ستر الذنوب...، ح١٣٦٧٤، ص١١٨.

٣) الانكسار أمام الله:

الانكسار حالة خضوع وخشوع واعتراف بالعجز والفشل والفقر والحاجة؛ وهي تظهر على الإنسان عندما تكون سِمَته الحزن والهمّ:

عن الإمام الصادق عليه السلام: "**يصبح المؤمن حزيناً، ويمسي حزيناً، ولا يصلحه إلا ذاك**"[١٥].

وعندما ينكسر القلب يجد الإنسان ربّه. ولذا، ورد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم سُئِلَ أين الله، فقال: "**عند المنكسرة قلوبهم**"[١٦].

٤) الإقالة إلى الله:

وهو طلب الإقالة والعفو؛ أي أن يغفر له عثرته وذلّته؛ بأن لا يحاسبه على ما اقترفت يداه. وهذا هو معنى ما ورد في فقرة أخرى من دعاء كميل: "**وأقلني عثرتي، واغفر لي زلّتي**".

٥) الإنابة إلى الله:

الإنابة هي الرجوع، فالإنسان عند ارتكابه للمعاصي يخرج من الحظيرة الإلهية، ويصبح من جند الشيطان؛ لأنّ المعصية طاعة للشيطان، فإذا تاب الإنسان رجع إلى عبوديّته لمولاه الحقّ:

قال تعالى: "وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾"[١٧].

٦) الإقرار بالذنب:

إنّ الإقرار يشمل: الاعتراف بالذنب، والاعتراف بأنّ الله وحده هو الذي يعفو عنه؛ بمعنى: أن ينطق لسانه بذلك. والإقرار بالذنب هو من شروط استجابة الدعاء:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "**إنّما هي المدحة، ثمّ الإقرار بالذنب، ثمّ المسألة**"[١٨].

١٥- الراوندي، قطب الدين: سلوة الحزين(المعروف بـ "الدعوات")، ط١، قم المقدّسة، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ؛ مطبعة أمير، ١٤٠٧هـ.ق، ص،٢٨٧

١٦- الراوندي، الدعوات، م.س، ص،١٢٠

١٧- الزمر: ،٥٤

١٨- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الثناء قبل الدعاء، ح٣، ص٤٨٤.

٧) الإذعان لله تعالى:

الإذعان هو: الانقياد، وعدم الرفض أو المقاومة؛ وهو يرتبط بالمعرفة الصحيحة؛ لأنّ الإنسان متى عرف مَنْ هو ربّه، وأنّ أمره بيده؛ خضع قلبه لذلك وانقاد له. وبهذا، يكون الإذعان أمراً قلبيّاً، وإقراراً بالباطن والنفس: عن الإمام الباقر عليه السلام: "**لا والله، ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقرّوا له بالنعم؛ فيزيدهم، وبالذنوب؛ فيغفرها لهم**"[١٩].

٨) الاعتراف بالتقصير:

إنّ الاعتراف بالتقصير، وإظهاره أمام الله عزّ وجلّ؛ وهو العالم بالخفيات شرط أساس في قبول التوبة؛ حيث ورد في كتاب الله تعالى: أنّ الاعتراف هو الذي يمهّد للإنسان قبول توبته:

قال تعالى: "وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾"[٢٠]. وعن الإمام علي عليه السلام: "**حسن الاعتراف يهدم الاقتراف**"[٢١].

٩) التسليم بأنّه لا مفرّ ولا مفزع إلا إلى الله:

إنّ حالات التسليم بانسداد سبل الخلاص، وأن ليس للإنسان مهرب من الله، وأن لا ملجأ له إلا إليه؛ لأنّ الكلّ عاجز من دون الله تعالى؛ عندما تجمع في نفس الداعي؛ تجعله يعيش حالة التسليم التامّ بأنّ الطريق الوحيد أمامه ينحصر في أن يقبل الله عذره، وأن تشمله الرحمة الإلهية الواسعة. فبعد التوبة، وبعد قبول العذر؛ يحتاج إلى الرحمة الإلهية التي تنقله من الشقاء إلى النعيم.

رابعًا: التدبّر في آثار الخوف في توجيه عمل الإنسان:

عن الإمام الصادق عليه السلام: "**إنّ ممّا حُفِظَ من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:... ألا إنّ المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه؟ وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؟ فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، وفي الشيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات؛ فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها مِن دار إلاّ الجنّة والنار**"[٢٢].

١٩- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب...، ح٢، ص٤٢٦،

٢٠- التوبة: ١٠٢،

٢١- العكبري، محمد بن النعمان(المفيد): الإرشاد، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، ط٢، بيروت، دار النعمان، ١٤١٤هـ.ق/ ١٩٩٣م، ج١، ص٢٩٩.

٢٢- الكليني، الكافي، م.س، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ح٩، ص٧٠.

إنّ لهاتين المخافتين دور كبير في مساعدة الإنسان على تحقيق كماله المطلوب؛ لأنّ الخوف ممّا مضى يستلزم تصميماً وعزيمة على الرجوع بالتوبة والاستغفار وصالح الأعمال، والخوف ممّا سيأتي من احتمال التقصير يستلزم زيادة الجهد ومضاعفة العزيمة والعمل على تحصين النفس من الأخطار المرتقبة والمتوقّعة مستقبلاً.

ومن هنا، كان على الإنسان أن يعدّ العدّة ويتأهّب للتزوّد قدر المستطاع من الطاعات والأعمال الصالحات من هذه الدنيا لآخرته، وأن يسعى لذلك قبل كبره وشيخوخته؛ حتى لا يفوته الفوت أو يصعب عليه التدارك؛ إمّا لضعف عزيمته وهمّته على العمل، أو لرسوخ الملكات الرديئة في نفسه؛ فيصعب عندها إزالتها. وأمّا بعد الممات ومفارقة الحياة الدنيا؛ فلا ينفع حينها عتاب مستعب ولا عمل عامل ولا تدارك متدارك؛ لانقطاع العمل بعد الموت: "فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾"[٢٣].

التقويم:

١- ما هي حالات الداعي؟

٢٣- فصلت: ٢٤.

مشروع تعليم الصلاة

الدرس السادس

صفات الناجين من عذاب النار

وَلَيْتَ شِعْرى يا سَيِّدي وَإِلـهي وَمَوْلايَ أَتُسَلِّطُ النّارَ عَلى وُجُوه خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً، وَعَلى أَلْسُن نَطَقَتْ بِتَوْحيدِكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلى قُلُوب اعْتَرَفَتْ بِإِلهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلى ضَمائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتّى صارَتْ خاشِعَةً، وَعَلى جَوارِحَ سَعَتْ اِلى اَوْطانِ تَعَبُّدِكَ طائِعَةً وَاَشارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، ما هكَذا الظَّنُّ بِكَ وَلا اُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يا كَريمُ يا رَبِّ.

أولاً: مفاهيم محوريّة:

صفات الناجين من النار:

- السجود نتيجة الشعور بالعظمة الإلهيّة.
- لسان الاعتقاد الصادق المشفوع بالعمل على طبقه.
- الاعتقاد اليقيني بالألوهيّة.
- الخشوع والخضوع لله.
- انعكاس الاعتقاد القلبي عملاً بالجوارح.
- الاستغفار من التقصير.
- حسن الظنّ بالله.

ثانيًا: شرح المفردات:

ليت شعري: أصلها شَعَرَ: "الشين والعين والراء: أصلان معروفان، يدلّ أحدهما: على ثبات، والآخر: على عِلْم وعَلَم... والثاني...: قولهم شعرت بالشيء؛ إذا علمته وفطنت له. وليت شعري؛ أي ليتني علمت"[1]. "قوله: "وَمَا يُشْعِرُكُمْ "(الأنعام : ١٠٩) ؛ أي يدريكم.

١- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة "شَعَرَ"، ص١٩٣-١٩٤.

وقوله: "وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ "(البقرة: ١٢)؛ أي لا يفطنون ويعلمون"[٢].

خرّت: أصلها خَرَّ: "الخاء والراء: أصل واحد؛ وهو: اضطراب وسقوط مع صوت"[٣]. "قال تعالى:"وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾"(الحج: ٣١)، وقال تعالى: "فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾"(سبأ: ١٤)، فمعنى خَرَّ سقط سقوطاً يسمع منه خرير... وقوله تعالى: "خَرُّوا۟ سُجَّدًا "(السجدة: ١٥)، فاستعمال الخرّ تنبيه على اجتماع أمرين: السّقوط: وحصول الصّوت منهم بالتّسبيح، وقوله من بعده: "وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ "(السجدة: ١٥)، فتنبيه أنّ ذلك الخرير كان تسبيحاً بحمد الله لا بشيء آخر"[٤].

حوت: أصلها حَوَى: "الحاء والواو وما بعده معتلّ: أصل واحد؛ وهو: الجمع. يقال: حويت الشيء أحويه حيّاً؛ إذا جمعته"[٥]. "وحويت الشيء أحويه حواية؛ إذا ضممته واستوليت عليه. وحويته ملكته وجمعته، وحوى الشيء إذا أحاط به من جهاته. واحتوى الشيء جمعه واشتمل عليه"[٦].

خاشعة: أصلها خَشَعَ: "الخاء والشين والعين: أصل واحد يدلّ على التطامن. يقال: خشع؛ إذا تطامن وطأطأ رأسه يخشع خشوعاً. وهو قريب المعنى من الخضوع؛ إلا أنّ الخضوع في البدن، والإقرار بالاستخذاء، والخشوع في الصوت والبصر"[٧]. و"الخُشُوع: الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع في ما يوجد على الجوارح. والضّراعة أكثر ما تستعمل في ما يوجد في القلب... قال تعالى: "يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا "(الإسراء: ١٠٩)، وقال: "ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ "(المؤمنون: ٢)"[٨].

٢- الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج٣، مادّة"شَعَرَ"، ص٣٤٦-٣٤٧

٣- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"خَرَّ"، ص،١٤٩

٤- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"خَرَّ"، ص،٢٧٧

٥- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"حَوَى"، ص،١١٢

٦- الطريحي، مجمع البحرين، م.س، ج١، مادّة "حَوَا"، ص،١١٢

٧- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٢، مادّة"خَشَعَ"، ص،١٨٢

٨- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"خَشَعَ"، ص٢٨٣.

الظنّ: أصلها ظَنَّ: "الظاء والنون: أصل أصيل صحيح يدلّ على معنيين مختلفين: يقين، وشكّ"[9]. "فقوله: "ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾"(البقرة: ٤٦)، وكذا: "يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ" (البقرة: ٢٤٩)؛ فمن اليقين، "وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾"(القيامة: ٢٨)، وقوله: "أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾"(المطففين: ٤)؛ وهو نهاية في ذمّهم، ومعناه: ألا يكون منهم ظَنٌّ لذلك؛ تنبيهاً أنّ أمارات البعث ظاهرة... "وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ"(يونس: ٣٦)"[10].

ثالثًا: دلالة المقطع:

يشير هذا المقطع إلى حالات الناجين من عذاب النار؛ وهي حالات مُتاحة التحصيل أمام الإنسان في هذه الدنيا، فإذا تمكّن من أن ينالها؛ أَمِنَ من عذاب النار، وهي:

١) السجود نتيجة الشعور بالعظمة الإلهيّة:

أقرب ما يكون الإنسان من الله في حالات السجود، ولكنّ السجود الذي يتحدّث عنه الإمام عليه السلام هنا؛ هو السجود نتيجة الشعور بالعظمة الإلهية؛ أي سجود المذلّة والخضوع والخشوع. وهو لا يتمثّل فقط في الحالة المعروفة في الصلاة. ولذلك عبّر القرآن بقوله:"أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾"[11]. فقد قرنت الآية سجود هؤلاء بعدم الاستكبار؛ لأنّ سجودهم سجود تذلّل لله. وما تكبّر عنه إبليس هو السجود، مع أنّ الله أمره بذلك:

عن الإمام علي عليه السلام: **"أطيلوا السجود، فما مِنْ عمل أشدّ على إبليس من أن يرى ابن آدم ساجداً؛ لأنّه أُمِرَ بالسجود فعصى"**[12].

٩- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٣، مادّة"ظَنَّ"، ص،٤٦٢

١٠- الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، م.س، مادّة"ظَنَّ"، ص٥٣٩-، ٥٤٠

١١- النحل:٤٨-، ٤٩

١٢- ابن بابويه، محمد بن علي بن الحسين: الخصال، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لاط، قم المقدّسة، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٣٦٢هـ.ش، ج٢، حديث أربعمائة، ص٦١٦.

٢) لسان الاعتقاد الصادق المشفوع بالعمل على طبقه:

إنّ كلمة التوحيد كلمة مفصليّة في علاقة الإنسان بربّه؛ وذلك إذا كانت صادقة؛ أي مطابقة للاعتقاد القلبي، وناتجة عن معرفة وشعور، وليس مجرّد لقلقة لسان، وغير مقترنة بالشرك الذي قد يكون في بعض مظاهره واضحاً، وفي بعضها خفيّاً؛ أي خالية حتى من الشرك الخفي.

وهذا الموحِّد الحقيقي يتمكّن بالفعل من أن يجعل حياته كلّها في طاعة الله، فالتوحيد الحقيقي يُورِث الإنسان العصمة من ارتكاب الذنوب.

ولذا، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: **"ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنّ الله عزّ وجلّ لا يعدله شيء، ولا يشركه في الأمر أحد"**[١٣].

والموحِّد يتّبع ذلك؛ بالثناء على الله(وبشكرك مادحة)، والقصد من الثناء؛ الشكر لله؛ وهو ينطلق من: الاعتراف بالنعم، وأنّ الله أنعم عليه، وأنّها كلّها من الله. والشكر الحقيقي هذا هو باب الاجتباء والاصطفاء الإلهي. قال تعالى: "شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾"[١٤].

كما أنّ الموحِّد يُدرِك تماماً أنّ من النِعَم الإلهية: التوفيق للطاعة، والبعد عن المعصية. ولذا، ورد في الدعاء المروي عن الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف: **"اللهمّ ارزقنا توفيق الطاعة، وبعد المعصية"**[١٥].

٣) الاعتقاد اليقيني بالألوهيّة:

وهو خصوص المعرفة القلبيّة بالألوهيّة التي يعقبها الاعتراف التامّ الذي لا يقبل الشكّ؛ أي الوصول إلى مقام اليقين في المعرفة.

والإيمان الثابت والمستقرّ هو ما كان قلبيّاً؛ لا ظاهريا فقط:

عن الإمام علي عليه السلام: **"فمن الإيمان: ما يكون ثابتاً مستقرّاً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور"**[١٦].

١٣- ابن بابويه، ثواب الأعمال، م.س، ص،٣

١٤- النحل: ،١٢١

١٥- الكفعمي، المصباح، م.س، ص،٢٨٠

١٦- الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٢، الخطبة١٨٩، ص١٢٨-١٢٩.

الخشوع والخضوع لله:

كلّما ازدادت النفس معرفة بالله؛ ازدادت خشوعاً؛ لأنّ المعرفة بحقيقة واجب الوجود باب للخشوع والخضوع لإرادته. ولهذا الخشوع علامات وردت في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"أمّا علامة الخاشع، فأربعة: مراقبة الله في السرّ والعلانية، وركوب الجميل، والتفكّر ليوم القيامة، والمناجاة لله"**[١٧].

٤) انعكاس الاعتقاد القلبي عملاً بالجوارح:

إنّ المعرفة تنعكس سلوكاً على جوارح الإنسان؛ فيسعى إثرها إلى كلّ موطن فيه عبادة الله؛ وهو في ذلك طَيِّع منقاد بنفسه؛ نتيجة المعرفة الصحيحة واليقينيّة.

ولذا، وصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المعرفة التي يظهر أثرها على الجوارح؛ بأنّها: المعرفة العليا، حيث قال عليه السلام: **"أوضع العلم: ما وقف على اللسان، وأرفعه: ما ظهر في الجوارح والأركان"**[١٨].

٥) الاستغفار من التقصير:

ينبغي على الإنسان بعد الإقرار والاعتراف بالذنوب، أن يُذعِنَ بضرورة تدارك الذنب من خلال الاستغفار؛ أي الطلب من الله بأن يغفر له هذه الذنوب.

ولا بدّ من المداومة على الاستغفار، ولا سيّما عند ارتكاب الذنب:

عن رسول الله (ص): **"طوبى لمن وُجِدَ في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كلّ ذنب: أستغفر الله"**[١٩].

٦) حسن الظنّ بالله:

المراد من الظنّ ما نتوقّعه ممَّن يمتاز بصفة الرحمة والرحيميّة (الرحمن الرحيم)، والكرم بالخصوص. ولذا، كان النداء: يا كريم، ليس ظنّنا بك أن تعذِّب من كان حاملاً لهذه الصفات، ولا هذا ما أخبرتنا به في كتابك؛ من سعة رحمتك، وعدلك.

١٧- الحرّاني، تحف العقول، م.س، ص ٢٠.

١٨- الشريف الرضي، نهج البلاغة، م.س، ج٤، الحكمة٩٢، ص، ٢٠

١٩- الطبرسي، مكارم الأخلاق، م.س، ص٣١٣.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: **"يُؤتَى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه، فيقول الله ألم آمرك بطاعتي؟ ألم أنهك عن معصيتي؟ فيقول: بلى يا رب، ولكن غلبت عليّ شهوتي، فإن تعذّبني؛ فبذنبي لم تظلمني، فيأمر الله به إلى النار، فيقول: ما كان هذا ظنّي بك، فيقول: ما كان ظنّك بي؟ قال: كان ظنّي بك، أحسن الظنّ، فيأمر الله به إلى الجنّة، فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنّك بي الساعة"**[٢٠].

رابعًا: القلب واللسان:

ثمّة قصّة معروفة عن لقمان الحكيم، وهي أنّ مولاه دعاه - يوم كان عبداً - فقال: اذبح شاة، فأتني بأطيب مضغتين منها. فذبح شاة، وأتاه بالقلب واللسان. وبعد عدّة أيّام، أمره أن يذبح شاة، ويأتيه بأخبث أعضائها. فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان، فتعجّب وسأله عن ذلك، فقال: إنّ القلب واللسان إذا طهرا فهما أطيب من كلّ شيء، وإذا خبثا كانا أخبث من كلّ شيء.

عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال:

"والله ما أُوتي لقمان الحكمة لحسبٍ ولا مال، ولا بسطٍ في جسمٍ ولا جمال، ولكنّه كان رجلاً قويّاً في أمر الله، متورّعاً في الله، ساكتاً سكيناً عميق النظر، طويل التفكّر، حديد البصر.

ولم ينم نهاراً قطّ - أي أوّله - ولم يتّكئ في مجلسٍ قطّ - وهو عرف المتكبّرين - ولم ينقل في مجلس قومٍ قطّ، ولم يعبث بشيء قطّ، ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط قطّ، ولا على اغتسال لشدّة تستّره وتحفّظه في أمره. ولم يمرّ بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلاّ أصلح بينهما، ولم يسمع قولاً استحسنه من أحد قطّ إلاّ سأله عن تفسيره وعمّن أخذه، وكان يُكثر مجالسة الفقهاء والعلماء، ويتعلّم من العلوم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، وكان لا يظعن إلاّ فيما ينفعه، ولا ينظر إلّا فيما يعينه، فبذلك أُوتي الحكمة ومنح القضية"[٢١].

٢٠- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن، تصحيح وتعليق جلال الدين الحسيني، لاط، طهران، ١٣٧٠هـ.ق/ ١٣٣٠هـ.ش، ثواب من بلغه ثواب...، ح٤، ص٢٥-٢٦.

٢١- تفسير مجمع البيان بتصرّف.

خامسًا: التفكّر في حقيقة وجود الإنسان:

إنّ تفكّرنا في حقيقة وجودنا؛ وأنّه وجود ممكن محتاج فقير في أصل وجوده واستمراره؛ يقودنا إلى معرفة عظمة الله تعالى وقوّته وقدرته وغناه:

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "**من عرف نفسه؛ فقد عرف ربّه**"[٢٢].

وأمام ذلك ينبغي أن تخضع نفوسنا وتخشع لله تعالى؛ بمقتضى ما أدركت قلوبنا من عظمة الله تعالى وقدرته وقوّته، وأن نندفع في شكر نعم الله تعالى؛ أداءً لحقّ المنعم؛ باستعمالها في ما يرضيه: "إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾"[٢٣]، "مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾"[٢٤].

٢٢- المجلسي، بحار الأنوار، م.س، ج٢، باب استعمال العلم...، ح٢٢، ص٣٢

٢٣- الإنسان: ٣،

٢٤- النساء: ١٤٧.

التقويم:

١- ما هي صفات الناجين من النار؟

٢- بين أثر القلب واللسان على قرب الإنسان من ربه وبعده عنه.